

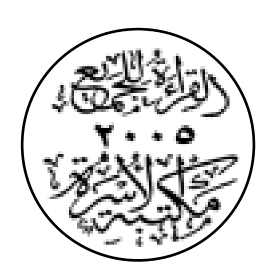
سلسلة الأدب

هواء قديم

شعر

محمد سليمان





المشرف العام

د. ناصر الأنصارى

الإشراف الطباعى

محمود عبد المجيد

الغلاف والإشراف الفنى

صبرى عبد الواحد

ماجدة عبد العليم

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

تصدير

«محمد سليمان» أكثر شعراء جيله إخلاصًا لتجربته، والتصاقًا بها.

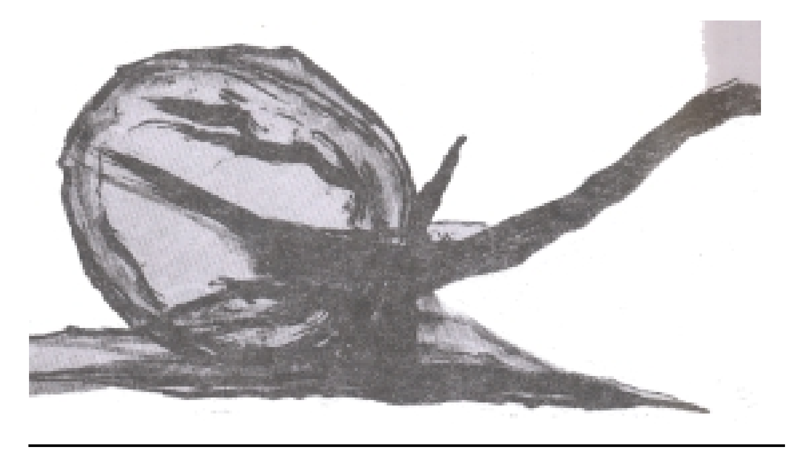
أعلن عن نفسه شعريًا فى السبعينيات بديوانه «أعلن الفرح موعده»، وأصدره من خلال مطبوعات جماعة «أصوات» الشعرية، التى يُعدُّ «محمد سليمان» أحد أبرز أعضائها المؤسسين. تلك الجماعة الشعرية التى كان لها دورها المهم فى التأسيس لحركة الحداثة الشعرية المصرية.

بعدها، أصدر «سليمان» دواوينه البارزة: «القصائد الرمادية» و«سليمان الملك»، و«أحاديث جانبية»، وأعشاب صالحة للمضغ» و«تحت سماء غريبة»، بالإضافة إلي مسرحيتيه الشعريتين: «العادلون» و«الشعلة».

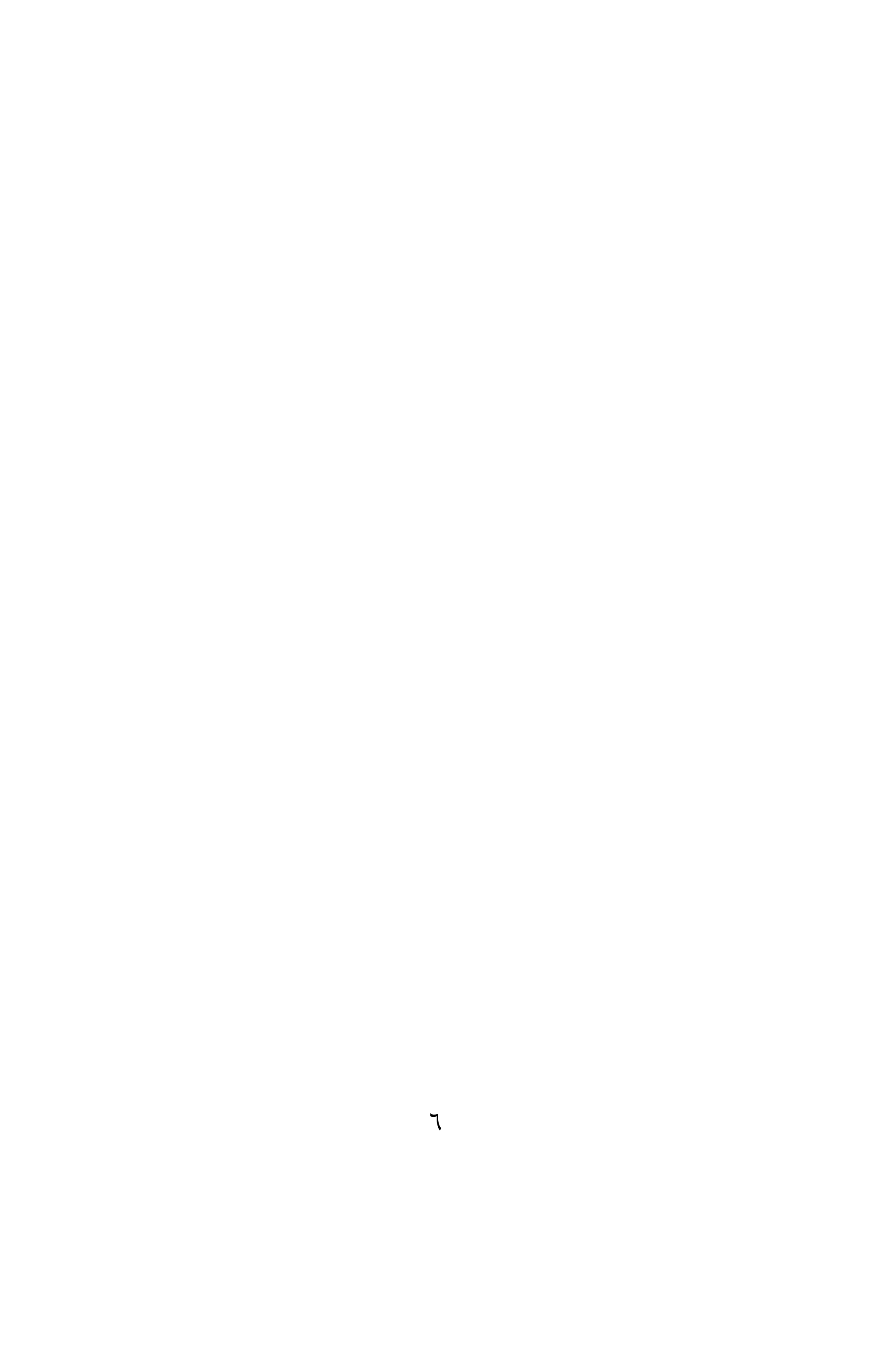
ومكتبة الأسرة تقدم له هذا العام ديوانه «هواء قديم» الذى صدر فى طبعته الأولى عام ٢٠٠١، وهو درة من درره الشعرية الإبداعية، وإطلالته المميزة ذات الجرس الإيقاعى الخاص به وحده.

مكتبة الأسرة





عادة فى الشتاء



إِنَّه البردُ
فدَعْ لى ثوبى
أيها الماضى

النجومُ اخْتَفَتْ
والعصافيرُ بالصمت لاذتْ
ولم يَبْق إلا ينايرُ والعائدون من الحربِ
أصفَرُ لون السَّماءِ وأصفَرُ فُسْتانُ هالة
هالةُ أنْحَفُ من ظِلِّها
وهالةُ عادِيَّةٌ كالهواءِ
وهالةُ أيضًا مَليجِيَّةٌ.. وتُحِبّ الزوابعَ

هل تَتَذكّرُ حَبْلاً تحطُّ الطيورُ عليهِ

من السُّورِ للسّورِ؟

شُبّاكها لايزال هناكَ وأثوابها الداخِليّةُ

أقْصِدُ سِرْبَ الفراشِ

وما ظلّ فى البئرِ

أمْشيرُ لم يُغْوِها

ولا فَرسُ النهرِ

أمْشِيرُ...

لكنّهم بالكلامِ

ينايرُ ليس امتداداً. لوجهى

وليس أبًا للشهورِ

ينايرُ...

هذا الأليفُ كدَبَّابةٍ

هل يُذكِّرُ بامرأةٍ ذلك البرقُ؟

هالةُ ظلّتْ تُشَبِّهُ أمْشيرَ بى
وظلّتْ كناس السواحِل تَرْسم بَيْتًا
على شَكْل حُوتٍ
وتَسْتَبْشِعُ الأسْرَ
سوف أقول مُباركةٌ أنتِ بين النِّساءِ
وأمْنَحُها نِصْفَ ثوبى
وسوف أرافِقُها من مَليجَ إلى ضِدِّها
لتألفَ مُعْجِزَةَ الجِسْمِ
هالةُ مثلى تُخبِّىء نِصْف المدينةِ فى صوتها
وتسبّ البَياضَ سأصْبُغ شَعْرى
وأبحث عن كلماتٍ شَبابِيَّةٍ
وقد أُدَّعى أنّنى فى الثلاثينَ
لن أحْسِبَ السنوات التى كالخَنافِسِ
والسنوات التى كالمدافِعِ

والسنوات التى كالسجونِ

وسوف أكافئ نَفْسى بِنَوْطِ الشجاعَةِ

فى الحربِ

كنتُ أُعِدُّ المُطَهِّرَ والمصْلَ والبِنْسِلينَ

وفى الحربِ

كنتُ أُعِدُّ الذينَ أتَوا فى الدفاتِرِ

ثم أحاوِلُ فى الليلِ حَقْنَ النِّساءِ بأسمائهم

كى يعودوا وديعينَ مِثلى

عَشيقاتُهم فى المحافِظِ

أصواتُهم كالرمادِ

وفى الحربِ

كنتُ أحِبّ الشوارعَ واللهَ أكْثَرَ

للشمسِ أن تَتَخَفّى

وللطفْلِ أن يَمْدحَ الوَحْلَ أجَّل دَرْسَ

الحساب

ولى أنْ أكلِّم بِنْتًا ضفائرُها فِضَّةٌ

عن مزايا الشتاءِ

وأُثْبِتُ أنّ الهواءَ له وجهُ شَيْخٍ

ينايرُ القاسى

يُغَبِّشُ الزجاجَ ليله وَحْلٌ

يناير القاسى

يُجَمِّعُ الذئابَ بعضُها فى دَفْترٍ يَعْوى

وبعضُها فى الشارعِ الخَلْفِىِّ

هل سَيَغْسِلِ الشتاء هذا العامِ شُبّاكى؟

أُحِبّ هذا البرد

أحب أن أرى الغِيومَ فوق الدورِ

مثل مَفْرَشٍ

والناسَ مَغْسولين كالباصات أحيانًا
أحِب أن أُذكِّرَ الجميلةَ التى
تزورها الآلاتُ فى منامها بِجِسْمِها
أَحِبّ أن أُسَخِّنَ الهواء حولها
فى الليلِ
لم تزل أصابعى
مَحْشُوّةً باللغةِ الأولى
ولم أزلْ كالجَرْوِ ثَوْرِيًّا
ومُغْرَمًا بالحربِ
مرّةً أعطيتُ نَفْسِى لَقَبَ الجنرالِ
فى المقهى
وقلتُ رُتْبَةٌ صغيرةٌ للسيد الصغيرِ
والجِنْرال طيِّبٌ مثلى
وعادةً يموت فى السريرِ

هل تظنّنى الفتاةُ جنديًّا ؟

لم يكن الأَحَدْ

ولم يكنْ بالقَطْع سَبْتُ النّورِ

لم يكن جَدِّى قد صار قُنْفُذاً

ولا أبى كالسُّورِ

لم يكنْ مدرِّسُ الحِساب قد هوى

وخَلفَهُ الأَعْدادُ

لم يكنْ مُرَوِّجو الخِيام قد جاءوا

ما عِزُهم أَمامهم

وبائعو اللُّبانِ

عندما تَسَلّل الدخانُ من زجاجةٍ

وانْتَصَبَ الجِنِّىُّ

فانتَسَبْتُ للتى لا تَتْرك الأطفال أطفالاً

ولا النِّساءَ عُلَبًا للبُنِّ والحليبِ

لم تكن مثلى

تَبيع فى الشِّتا ءِ فِضَّةً بخَشَبٍ

وتَشْتم الذين دائمًا فى الصَّفِّ

والذينَ أحيانًا

يُوَسِّعون موتَهم فى صحف الصباحِ

كي يصيروا مُدنًا

يَنايرُ القاسى

يُزَلْزِل المرَّ بردُهُ كالنَّخْلِ

كيف تُثْبِتُ الأنثى لنفْسِها فى الليلِ

أنّها أنثى

وكيف يأخُذ الغبارُ ما يناسِبُ الغُبارَ

أوّل الأسرى

لم يكن الفرعونُ حين انشَقَّت المياهُ

آخِرُ الأسرى

لم يكن المحارِبُ الذى أطرافُهُ خانَتْهُ

فى الشتاءِ يهبط الظلامُ عادةً

بآخَرينَ غادروا

وفى الشتاءِ يصبح الهواءُ مَخْزَنًا

للصمتِ والحَنينِ

لم يَعُد مُناسِبًا

أنْ تُشْعِلَ الهواءَ جارةٌ

أو تَتْركَ الثديَيْنِ فوق السَّطْحِ

مثل أرْنَبَيْنِ

لم يَعُد مناسبًا

أنْ تطلقَ الغزلانَ فى فراشِها لتُمسِكَ الصّيّادَ

سوف أمنحُ الغيومَ سُلّمًا

والماءَ صنبوراً

وعندما يَخِفّ البردُ

عندما يَخِفُّ

قد أزور هالة التى تسير كالجُنْدىِّ

والتى لم يُنْسِها وجهى

حذاءها أو مَوْعدَ القطارِ

والتى تُحِبّ أن يراها البحرُ

عندما تُراقِص الإسكندرَ الكبيرَ فى منامِها

وعندما تَحُط ثديها الصغيرَ فوق السُّورِ

كى يراه الماءُ

والمفتِّشُون عن أوائل الأشياءِ

والمتَرْجمونَ

ثُمّ تدخل الظلامَ فَجأةً وتَخْتَفى

كعادةِ الذين انْحَدَروا فى الماءِ من مَليجَ

والذين بالهواءِ التصقوا.

١٩٩٢



دهاليز ١٩٩٤ - ١٩٩٥

.١٠.

لا أحدَ يُرَبِّى تحت السلَّم دَيْناصوراً

لا أحدَ على دَرَجٍ يَتَشَظّى

أو ينْتظر الغجرِيّاتِ

الشارعُ خالٍ

والحاناتُ ازدَحَمَتْ بالخاوينَ

فكيف أحُكّ دمًا بدَمٍ

وأُسَمِّى نَفْسى الشاعرَ

كيف أصُدّ هواء ضِداً

وأهَرِّبُ للأطفال سماءً أخرى؟

لا أحدَ يصُبّ القهوةَ لى

لا أحدَ يَحُط اللقْمَةَ قُرْبَ الحائطِ

أو يَخْتَرِعُ نُجومًا

لا أحدَ كنيلٍ يخطو

لا أحدَ يُحاوِل من نافذةٍ شَدَّ ملاكٍ

لا أحدَ بقَدّاحَته يُسْعِفُ

أو يَتَحدَّث عن أحْوال الطّقْسِ

الآلةُ ليستْ أحداً

لا أحدَ يخُط حروفًا تُفْشى سرَّ يديهِ

الآلةُ تكتب طول اليومِ قصائدَ وحكاياتٍ

عن جَدَّتها

وحدى سوف أسير إذاً

وأفكر بالغابات

وَوَحْدى سوف أَهُزُّ ملوكًا ناموا

فى الموْسوعاتِ

ووحدى سوْف أَصُبّ القهوةَ

للآتينَ غَداً.

.٢.

مثلنا

سيكتشفون فَجْأَةً أنّهم كبروا

قبل أن يصعدوا

وقبل أن يعبروا البحورَ كُلَّها

الذين يركضون الآن فى الشوارع

والذين يظنوننا جُثَثًا

والذين أيضًا

يُشْبهونَنا.

.٣.

التى لم تَغْتَسِل مُذْ وُلِدَتْ

التى تُدَلِّل اللصوصَ والجنود

التى من أجلها حاربتُ واندحَرْت

التى تكْتَظّ بالأسرى

أشيخ فيها الآن كالتِّرام دونما قلادةٍ

تُتيح لى على الرصيف مَوْقعا مناسبًا

أو خُطوَةً تهابها الكلابُ

قُرب الفجْرِ

عندما أعود مُثْقَلاً بِعِطر جارةٍ

تظنّنى مظلّةً.

.٤.

لستُ علاء الدين ولا فانوسَ معى

سأسير إذاً فى الشارع وحدى

دون دليلٍ

وأواجه وحدى الرجل الآلةَ

والرجلَ الخُفّاشَ

ووحدى

سوف أُحَرِّرُ بِنْتًا من قفص الجِنِّىِّ

لكى أمنحها قفصًا آخرَ

أعنى بيتًا

وأكاذيبَ

وطفلاً بنوافذها يلهو فى الظلماتِ

وآخرَ يَحْسَبها شَرْنَقَةً

●

لست علاء الدين ولا فانوسَ معى

أعنى لى ساقان فقط

والأيام قطارٌ
أعنى سأشيخُ هنا فى المنْزِل أو فى المقهى
كالشعراءِ تمامًا
والحكّائينَ
لغيرى أن يكْتفىَ بِسَرْجٍ
ولغيرى أن يكتَشِفَ على أجساد الناسِ
رءوس الحيواناتِ
ولى أن أقعدَ فى الميدانِ
مُحاطًا بالأرْصفةِ
وأنْ أنْتظر امرأةً تكذب طول اليومِ
لكى أتَعَرّى
وأحَدِّثها عن أمجادى
كيف أطحْتُ برأس الذئب
وكيف أخَفْتُ الفيلَ

دَفَنْتُ ملوكًا ظنوا الموتَ يخُصّ الغَيْرَ
ولى أن أرسمَ هالة يَمًّا مزْحومًا بالسَّمكِ
وأن أشتمها سِراًّ
شِخْتُ وظلتْ فى العشرين
وشِخْتُ وظلت فى غرفتها
تحلم كالمعتادِ بِثدىٍ أكبر
أو أرداُف أخرى.

.٥.

الرجل على الحائط
لن يُخْجِلَ بِنْتًا بعد الآن
الرجل على الحائط
لن يَنْسى كالمعتادِ يديه على رِدْفَيها
ويقول كبرتِ

وثَدْيُكِ نَوَّرَ
ثُم يسبّ ذكوراً لا أحصنةَ لهم.

.٦٠

لأنك مُتْعَبٌ مثلى
لأنكَ فى شارعٍ آخر أو قريةٍ أخرى
لأنكَ لا تَعرفنى
لأنك تَفْهم أنّ الشىءَ لا يُعرفُ بغَير ضِدِّه
لأنّ السلام لم يعُد سلامًا
لأنّ الماءَ لا يُحَدّ والعطشَ أيضًا
لأن الحربَ لم تَعُد مَوْسمًا
لصانعى الأغانى
لأنك صديقى
سأعطيك بَلْطتى

وأشتمكَ أحيانًا

هل تَقْرأ مثلى جريدة الصباح فى الصباح التالى؟

.٧.

لأنّ البُرْجَ هوى

لأنّ هواءَ الشارع مُتَّسِخٌ وقديمٌ

لأنّ البحر بعيد جداً

سأظل هنا

مُنْتَظراً غَجَراً ينْحدرون من المستَقْبلِ

مَوْشومينَ

ولا يثقون بغير الأيدى

هل يُشْبه بئراً هذا الكهلُ؟

وجوهٌ تلمعُ فيهِ

وحَوْل اللحم حَشائشُ تَطْفو

سأُريه عصايَ وعُلْبةَ تَبْغى

وأقول كبرتُ وقَلَّ الماءُ

وقد أمْنَحه نصفَ السِّرِّ أُريه طيورى

والمائيِّينَ احترقوا فى الدولابِ

أليفٌ هذا الصوفُ خِرافُ ينايرَ فوق التلِّ

وفى العربات مُواءٌ

يودى لا يَتَسامى

ونُحاسى كالمطّاطِ

فكيف أصافى حيوانات الغُرفةِ

كيف أُطَمْئنُ مجهولين استَتَروا

كنباتات الظِّلِّ

ومَشْروماتٍ؟

أهى الشَّيْخوخَةُ

أنْ نكتَفىَ بما فى الدُّرْجِ

نُقَلِّمَ شجراً فى الدولابِ
وأنْ نَنْشَغِلَ بِعَدِّ ضروسٍ؟

ـ٨ـ

ليس شمع الكلام إذاً
والأناقةُ
أو نكْهَةُ الشاىِ
ليست مرايا النوافذِ
والشمسُ ساعيةً بالرسائلِ
أعْنى إلى الآن لم يَتَّضِحْ أوّل الخَيْطِ
لكننى سأُشبِّهُ فُسْتانها بالفضاءِ
وأعضاءها بالسفنْ
هكذا سأميل على حَجَرٍ وأصُدّ الزوابعَ
فى البردِ لا يخرج الشعراء من الصُّوفِ

والشّمسُ أيضًا
هكذا سأنفِّضُ ثوبى
لأُخْرِجَ منه الذين استعاروهُ
سوف أشبِّه سِلْسِلةَ الظهر بالمِنْجنيقِ
أُحَيىِّ التِّرامَ الذى بشخير المسِنِّين يحبو
وأقول الشوارعُ كالناسِ
بعضُ الشوارع يُفْضى إلى النّورِ
والبعض يَفْنى
لأنّ العصافير لا تَصْطفيهِ
يناير دُبٌّ
ولكننِّى الآن أمْهَرُ من ثَعْلبٍ
وعجوز
وأعرف أنّ البحَيْرةَ ليست سوى زَخَّةٍ
والسّلالم فَخٌّ

لديّ سيُصبح وقتٌ لأسْألَ
أعنى بِنظّارةٍ
وفَمٍ فارِغٍ
قد تصير الحروفُ مساكنَ للنَّملِ
والصمتُ أرْحَبَ
هل ستجىءُ غداً ؟

-٩-

الرجل على الكُرسىِّ أمام المقهى
ليس صديقى
الرجلُ بنظّاراتٍ يلهو
ويُريح يديه على طاولةٍ
هل سيُقَلِّبُ نِصْفَ السُّكَّر فى الفِنْجانِ
يمُدّ عجائزَ بـمُدرَّات البَوْلِ

وموتى بِكُرات النّفْتالينِ

وهل سيظلّ يقُصّ عن الصحراء الكبرى؟

أم سيعود إلى مَنْزِلهِ

فى الواحدةِ

تمامًا مثل الباصِ

لكى يَتَّهِمَ البصَرِيِّينَ ويُعْلِنُ

أنّ الله تَخَلّى عن قُطعان الماعزِ

والحَطّابينَ مضَوا بالشجَرِ

وأنّ قميصَ الباشا ليس الباشا

أم سيُفَتِّشُ عن عَدَساتٍ أخرى

ليُسَوِّدَ ورقًا

ويَلُمَّ فَراشًا

ويُخَطِّطَ كى يَسْتبدِلَ بالقاهرة امرأةً

لا تَنْسَلُّ إلى الصحراءِ

الرجل يُذكِّرُ أحيانًا بالغَرقى

هل سيظلّ يُغَنِّى ـ عاش الجِيلُ الصاعدُ ـ فى الباراتِ

ويَمْشى فوق الحَبْل بغير عصا ؟

ـ ١٠ ـ

لم يَنَم البحرُ لأصبحَ مليونيراً

لم يَنَم البحرُ ليقْفِزَ جِنِّىٌّ من قَفَصٍ

مُرّوا ..

لا شىءَ لدىَّ لكم

لستُ نبيًّا لأُنَظفَ هذا الشارعَ

أو شُرْطيًّا

لأُنَفِّضَ ثوبَ الباشا

مُرّوا ..

لا يعدو خَلْفَ الكنْزِ سوى أُثَرِيٍّ

وأنا

أبحثُ عن أنثى تلِدُ وتُرْضِعُ

أنثى

تَركُضُ فى السابعةِ صباحًا

بالأطفالِ إلى المدرسةِ

وأنثى

تَعرفُ أنّ هواءَ المْياواتِ

يَخُصّ المْياواتِ

وأنّ حصان الباشا حَجَرٌ

فى ميدان الأوبِرا.

-١١-

البِنْتُ على السُّلَّمِ

حين اشتَعَل فضاء في عينيَّ ابتَسَمَتْ
وانْفَلَتَتْ مثل شُعاعٍ
البِنْتُ الأنثى
قَفَزَتْ حين مَدَدْتُ يدىَّ
وصاحت عَمِّى...
البِنْتُ المهْرَةُ
حين ابتَعَدَتْ ثَقُل هواءٌ في رِئتَىَّ
وغطّى الأبيضُ رأسى.

ـ١٢ـ

هل كانت تُدْعى هالةُ حقًّا
أم ألهو كالمعتادِ
وأُخْفى كالجِنِّىِّ دمًا بِدَمٍ؟
لا أَثِقُ بِكُم

أحَدكمو سيُبْلغُ ريحًا

أحَدكمو سيُغْرى رجُل الشّرْطةِ بى

أحدكمو سيصبح فاعل خَيْرٍ كالمعتادِ

ويَنْسف بيتى

السِّرُّ ثَقيلٌ

لكنِّى سأسير على مَهَلٍ فى الشارعِ

كالجُندِىِّ

وسوف أعُدّ الشَّجَر العارى

هالةُ ليستْ هالة

سأقول إذا استَوْقَفَنى الضابِط

ثُمّ أُثَرْثرُ عن موسيقى القِرَبِ

وأفْلام الكارتونِ

وهالةُ ليستْ ذهبًا يُسْرَقُ

أو عاصفةً تكنس شارع طنطا

•

فى المسْتَقبلِ
حينَ أصيرُ عجوزاً فى السَّبْعينَ
وحين تَصير الحاجَّةَ هالة
فى المسْتَقبلِ
حين يَفِرّ الشارعُ من أرْجلِنا
وتصير الصّوَرُ بدائل فى الألبومِ
وحين يَظُنّ صبىٌّ أنىِّ
كنت عجوزاً طول الوقْتِ
وفى المسْتَقْبلِ
حين سيوقف رجلُ الشرطةِ لى تاكْسِيًّا
ويُساعِد هالة كى تَمنحَهُ البَركَةَ
سوف أكون حكيما جِداً

وصريحًا مثل الريحِ

وسوف أبوح بما خبّأتُ

وأرْمى للقُرصانِ تقاليدَ القُرصانِ

وفى المسْتَقبلِ

حين أصيرُ وعاءً مملوءًا بالماضى

سأُذكِّرُ هالة أحيانًا بالبحرِ

وأيضًا

سوف أمُدّ يدى

لأداعِبَ سَمَكًا .

ـ١٣ـ

أنْ تُصبحَ فَمًا

أن تجلس دائمًا في الصفوف الأولى

أن تنْحاز لربْطَةِ العنق

أنْ تُهادِنَ اللصوص

أن تَمدَحَ الميِّتينَ لأنّهم ماتوا

أنْ تَجِدَ وقتا كافيًا لقطةِ الباشا

أن تُنافِقَ البوّابينَ وحارِسى المصاعد

أن تَرْشُوَ الكلابَ الصغيرةَ التى تَبْتَزّ

يعنى أنك اخترت أن تَتَقاعد

وأنْ تُصبحَ مواطنا طيِّبًا

وأنك أيضًا تَسْتَحِقّ وِسامًا.

-١٤-

لم يفُزْ أحد
جاري ينام حاضِنًا لفائف البانْجو
وجارتي بخيمةٍ لاذَتْ
ولم تَعُد تُشَتِّتُ الظلامَ أو
تَصُدّ البرد.



البعيدة اسمها مليج*

كأنّهُ قد قام من غيابه الذى قد صار قانونًا

رمى لترعةٍ حذاءه البالى

وثَوبَهُ المبْلولَ

واسْتَدار فارداً على السرير غَيْمَةً

فى الغارِ قُفْطانًا

هل مرَّ فى طريقه بالبحرِ؟

أم مضى فى اللحمِ تارِكًا مليجَ خلْفَهُ

وقاصدا مليجَ

هل آذَتْهُ

أثْقلتهُ بالذى يُحِبُّ

أم ضَمَّتْهُ

حاولت كقطةٍ

فَلَفَّ لحمَهُ بالريحِ صار فوقها وتَحْتها

رمى كلامًا لم يَعُد يُناسِبُ الأشْجارَ

وانْحَنى

يُكلم المقاعدَ التى تَشيخُ

أو يُنَفِّضُ الشوارعَ التى تقوم من سُباتِها

●

فى البدءِ

لم تكن مَلِيجُ صورةً لقلبِهِ

فى البدءِ

لم تكن سريرَهُ الذى يهبّ منهُ

لم تكن قميصَهُ أو عُرْيَهُ الجميلَ

لم تكن عصاهُ

أو حروفَهُ التى بها يُطارد الأسماك فى البحارِ

والنجومَ فى الأعالى

لكنّه أفاق مرّةً من مَوْته اليَوْمىِّ

كان الصيفُ حارقًا فى الرُّكْنِ

والباشا على أريكة يَعُدُّ

والجنودُ كالحيطانِ

هل شَقَّتْهُ

مَزّقَتْ سكونَهُ

أم خَبّأتْ فى لحمه جَوْهَرَها

فَزَلْزلتْهُ

بَدَّلتْ عينَيهِ

أصبَحَتْ فضاءهُ المكشوفَ وامتدادَهُ

•

فى البدءِ

لم تكن مظلّةً

ولم تكن بحراً

أو غيمةً تُطَهِّرُ اليدين والهواءَ قبل نُزْهَةٍ

وتغسل العيونَ فاعتلى سوراً

وضَفّر الحُضورَ بالغيابِ منح الظنون قلبَهُ

فأصبح المأمومَ والإمامَ

والغُلامَ بُشِّرَ العجوز باسمهِ

وأصبح الكلام يمنح الأشْياءَ شُبْهَةَ الحُضورِ

فى صباه هَلْهلت ملِيجَ رَجَّةٌ

وفى صباه انتصرت ملِيجُ خَلَعَتْ جلبابها البنِّىَّ

واكْتَسَتْ بالعشبِ

فى صباهُ شَرَّدَ التتارَ مرَّةً وطارد الجرادَ

وانتمى للماءِ عندما تَخَشَّبَتْ

وأصبحت مائدةً للنّملِ

هل تُوارى نِصْفَهُ طاوَلةُ المقهى؟

يسبّه الذين هاجروا ويَشْتم الأقفاصَ

جَوْهَرٌ مُخَبّأ فى جوفه يُضْنيهِ

جَوْهرٌ يُضيئهُ

يَسْتَلّهُ من مَقْعَدٍ يشيخُ فيهِ

مرَّةً سَيَتَّقى مليحَ بالذى أخْفَتْهُ

يسْتَعيذ من ظلامها بها

ومرّةً سيبدأ الرحيل باتجاه وجهها الذى

لم يهجر المقهى

مليحُ ليستْ شَجَرة

مَليج ليست مدْخَنَه

مَليجُ ليست لُغَةً تكلّم الربُّ بها

ليستْ فضاءً مَيِّتًا

مسافةً بين احْتماليْنِ

وليست كوكبًا مُنْفلِتًا

هل أصبحتْ بعد انْحسار البحرِ أهْرامًا

وألْواحًا من الفُخّارِ

أم صارت مرايا

يقرأ الماشون فى أعماقها شيخوخة العالمِ

لم يَنْسَ المليجىُّ وصايا أُمِّهِ

أعطته صورتين

صورةً لصاحب القلعَه

وصورةً لقادمٍ فى الزّوْبَعَه

وعلّمَتْهُ أن يدورَ حَوْلها

مُحْتَمِيًا بالبحرِ منها

أو بها من لهب الأمواجِ

عَلّمتْهُ أن يُخبِّىء الكلامَ فى الكلامِ

أن يكونَ ثائراً

وتاجِراً

وأنْ يظلّ دائمًا عَدُوَّ نَفْسهِ

سيلعب الورق

يَغْلبُ طيِّبينَ انْقَرضوا كسُكَّر الأقْماعِ

مرّةً بولَدٍ

ومرةً بالبِنْتِ

ثم يُشعل السيجارةَ التى ابتلَّتْ

ويسحب الذين سافروا فى الماءِ

مَوْشومينَ

أو مُخَرَّمينَ

لم تزلْ أسنانُهُ فى فَمهِ

ولم يزل يُلاكم الهواءَ

هل يقوم من سريره فى الصبح لامعًا كشفْرةٍ؟

ظلَّتْ بلا شَبيه

لأنَّها الأنثى

ورُبَّما لأنَّها غابتْ

وأصبحتْ لفْظًا

يَشى ولا يَشى

هل أرنبُ الكنَّاس مثل أرنب الباشا؟

صباحُهُ صباحُهُ؟

أم كل حَرْفٍ جِهَةُ

وكل لفْظٍ تيه؟

سيلْعَب الورق

ويَرْهِنُ القميصَ مرَّةً فى أوّل الممْشى

ومرّةً فى السوقِ

هل مليحُ صندوقٌ مُعَلّقٌ فى عنق الفرعونِ

أم متاهَةٌ تضيع فيها الريحُ

أبَداً لم تَهْوَ بحّاراً

ولم تَلُذْ بالشّكِّ

أبداً لم تَرْسم الأشْجار بقراً

ولم تَثِقْ بالماءِ

هل تَجَسّدَتْ بِنْتا

قميصُها مُشَجَّرٌ وشَعْرُها ينْسابُ

لم تكن حروفُها قد نُزِّلَتْ عليه فى الصبا

ولم تكن مَهْووسَةً كقطّةٍ

لكنها تَسَلّلَتْ

وناوَلتْ أعضاءه روائح الأنثى

فَزَلْزَلتْ وبَلْبَلَتْ

وعلّمتْهُ أن يكون ألِفًا

فى خُرْجِهِ الحروفُ

لاعَبَتْهُ كى يظلّ واقفًا

حتى يصيرَ الماءُ فى الإناءِ لَبَنًا

وعَلّمَتْهُ رَقْصَةَ الحصانِ

هل تَلْتَفّ بالغُبار أحيانًا ؟

١٩٩١





حفريات ١٩٩٣ - ١٩٩٤

هل انتهى الكلام عند بابه؟

للنصائح التى طَفَتْ على الشِّفاه مثل طُحْلبٍ

لم يُصْغِ

للفولاذ لم يَنْحَزْ

ولم يَلُذْ بغابة الأزْرارِ

ظلّ مَشْغولاً بكائنات الهَبْوِ

قانِتًا كالرِّيمِ

ليس النيلُ بَقّالاً

والبحرُ ليس صَوْبَةً ينْمو بها السَّرْدينُ

نافِخو الأبواق يعرفون أنّه سيمنح الهواءَ لونَهُ الزّاهى

وأنّه سيَسْجن الغُبارَ

نافِخو الأبواق لم ينْسوا حِصانَهُ الطينىَّ

والدرّاجَةَ التى أراد مرّةً بها

أنْ يَغْزُوَ السماءَ

رُبّما شَدَّتهُ زُرْقَةٌ فراح يُحْصى الموْجَ

رُبّما المقلِّبون آثروا عليه سَمَكًا

وغَيَّبوا عصاهُ

أحَدٌ لم يَشْته التى فى كيسِهِ غابتْ

أحد لم يدفع السؤال بالسؤالِ

أو يلُفّ أكْرَةً

هل انتهى الكلامُ عند بابه؟

له المجد

كلّما شقَّت الريحُ أثوابَهُ يتَلوّى

ويَلْتفّ بالموجِ

يقعد فى كُوَّةٍ لينامَ

له المجدُ

يكتب كى لا يصيرَ بلا عَمَلٍ

ويكتب كى لا يظلَّ وحيداً

له المجدُ

يعرف أنّ العصا إن تَراخَتْ هَوَتْ

وإن بادَرَتْ سَبَقَتْ

والسقوط مُناسَبَةٌ للنهوضِ

ويعرف أنّ الذى أدْمَنَ الخوفَ

سوف يَطُخّ الحصانَ

أرانبُهُ ستصير ثعالبَ

والقط فهْداً

له المجدُ

صار أبًا لأبيهِ

وطفلاً لهذا الغلامِ الذى يُحْسن العَدَّ

حتى الثلاثينَ

سوف يخط ويمحو

يصُدّ ودودين ذابتْ ملامحُهم فى الدخانِ

ويبحث عن هائمينَ رأوا

له المجدُ

سوف يُخبِّئ فى الدُّرْج شَمْسًا

ليصُدّ الوحوشَ

وسوف يشُدّ بلاداً من الحِبْرِ

بِنْتا من الأرْجوانِ

له المجدُ

يعرف أن النِّساءَ قواريرُ

والعطرَ خيطٌ.



كى لا يصير كحاملى النعوش

بِعُلَب مُلوَّنَه

وبائع يتسلى بعَد أسْنانه

كان عليه أن يشُقّ طريقًا إلى هناك

هو الذى احتمى بقوة الضّعْف

وظلّ صامِداً كمِقْلاة

•

كان عليه أن يقعد فى الدكّان عشرينَ سنَه

ليُساعِد امرأةً بِمَعْقود السُّكَّر

وطفلاً على التَبوّل خارجَ السرير
وكان عليه أن يَصْحبَ شيخًا إلى بابِ بُسْتانِه
وأن يبيعَ النوفالجين حَبّةً حَبَّه
كى لا يصيرَ كحاملى النعوش.



صحراء

بأطفالٍ دفاترهم قطاراتٌ يُزَيِّن غُرفَةً

ويصُدّ رمْليِّين

ظِلّ الخان فِضِّيٌّ

للِحْيَتِه قوامُ النارِ

مُهر الخان من حَجَرٍ يمد يديهِ

خلف الذيل زَوْبعةٌ

وصَهْدٌ صاهِلٌ يجتاحُ

هل سيرافق امرأةً لباب القصرِ

يَخْدعها بصوت الكهْلِ ثم يُباغت البوغازَ

أم ينْحاز للغَجَرىِّ فَضّ بياضَ لوْحَتهِ

ولوّن بالصراخ الماءَ

رأسُ المهر شلاّلُ

ورُبْع الثور زوبعةٌ

يدٌ تَعْوى

أصابع تَنْهش الفولاذَ

مِصباح من الزّيْتىِّ يمنح عابراً خيطًا

وقط تائه فى القاعِ

سوف يكلِّم الباشا

يُبَدِّل ماء شِيشَتهِ

ويَسْقى وردةَ الطربوشِ

ملاحوه خاضوا الحربَ فى غُرَفٍ

وملاحوه ينْتظرون ناقاتٍ من الفخّارِ

فى أبراجِها ماءٌ.

قبل عشرين سنة

صقر واحدٌ لم يَطِرْ
وزَوْرقٌ واحد لم يَعْبُر
الأشجار صارت دِككًا
والكراكيُّ مراوح من الريش

•

يذكر قبل عشرين سَنَه
حين كان المغَنِّى جِنْرالاً
والأطفال لا يلهون بالمفرقعات

قبل عشرين سَنَه

حين كانت الكلابُ لم تَزلْ كلابًا

والمناضِلون لا يُضيفون غيومًا إلى الرصيد

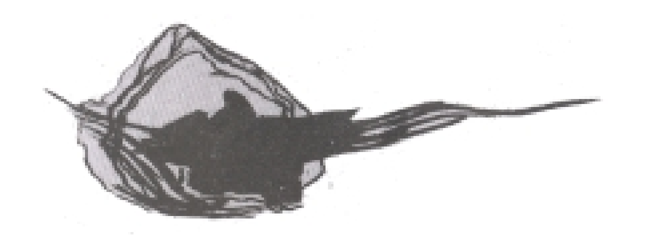
قبل عشرين سنه

حين كان مَشْغولاً بإحكام ربطة العنق

وتَحسس أرداف ٍمن البِلّور

كانت طرية كقطة الباشا

وشابّةً كآنيةٍ من العاج.



فيروز كانت تُغَنِّي

إذاً

سيُعِدّ مراوِحَ للصيف من بَجَعٍ

ويَعُدّ الشروخَ يُباهى

ببَيْضاءَ ناعمةٍ

إذاً

سيَصُدّ بسورٍ من البقْسِ

يخطو بمَرْيلةٍ

وحذاءٍ خفيفٍ

ليضْبِط حَبْلين فى الحَلْقِ

يعرف أنّ المكانَ دمٌ

والقنابِل ليست كحَبِّ العزيزِ

ويعرف أن التى رافَقَتْهُ إلى جَدْول الضّرْبِ

غيرُ التى تتسلى بخَنْق الإوَزِّ

لماذا يحِنّ إلى البَرِّ حوتٌ

ويلْتفّ صيّادُه بالمحيطِ

سيترك حَرْفًا على رُكْبةٍ

ليصُبَّ قليلاً من الزيت لامرأةٍ لم تَزُرْهُ

سوى مرَّتيْن

وفى المرتين اختَفَتْ

حين هيّأ شارِبَهُ

واستعار قميصًا يلائم سِرْبَ عصافيرَ.

فيروزُ كانت تُغَنِّى

وشادى على التلِّ يُفْرِغُ حَصّالةً ليطيرَ

سيكتب سَطْراً

ويُعلن حربا على الموتِ

سَطْراً

ويرمى أصابعَه فى الهواءِ

وسطراً

ويركض خلف القطارات مُزْدَحمًا بمكانٍ أُبِيدَ

وسطراً

ويلْتفّ بالصمتِ

يمنَحُ بيضاءَ صورتَهُ.

أسرار عائليه

لأطفال يكبرون فى الألْبوم لم يزل يصُبّ القهوه
الذى مات فى صنعاءَ لم يفُزْ برُتْبة العريف
والذى اخْتَرقَ سيناءَ لم يعُد بالغنائم
والذى لم يكن مُطعَّمًا ضِدّ الحَصْبَه
رَصَدَتْه طائراتُ الشَّبَح
وبخّرَتْهُ قذائفُ الأسطول.

أسرار أخرى

لن يُخْجِلهم بلؤلؤ المديح

الذين علموه المشْىَ

وقَيّدوا رِجْليه

لن يُحْصِيَهم

لأنّهم كثيرون جداً

وعادِيّون كالحصى

ورُبّما كالريح.

في أكتوبر

فى أكتوبر يعلو النهر قليلاً

فى أكتوبر يهب النسّاجون أصابعهم للصوفِ

وفى أكتوبر يزحف شجَرٌ نحْو الماضى

من أين يجىء الحَرُّ إذاً

صوتٌ كالخيط نحيل يلْمعُ

صوتٌ كالمِسْمارِ انتصف الليلُ

وغطّى ظِلٌّ امرأةٍ نصْفَ الشارعِ

ليس تِرامًا هذا الصوتُ

أُكَرِّرُ..

كان النسّاجون على الأنْوالِ

وكان الحطبُ

وظلّ امرأةٍ مثل فنارٍ

لن يَتَذَكَّرَ ولداً فى الألْبوم يسابق نهراً

لن يتذكرَ ملاّحين ابتلع الحوتُ

ولن يتذكر جنكيزخانَ

فقط سيُصافى العشبَ

فقط سيُفكر بالأطفالِ

فقط سيُدَخِّنُ كى يختصرَ الشَّهْرَ

هل السيدةُ تُحِبّ السُّكَّر؟

جاءوا لكى يرثوا

الذى لا مكانَ لهُ

لا مكانةَ له

قال مُبْتَسِمًا

واستعاد أصابِعَه من كُوى فى الهواءِ

وشَدَّ طيوراً من الشرق للغربِ

ثم إلى داخِله

هل رأى فى مراياه كهْلاً غَريبًا

له شاربٌ لا يُعين على المشْىِ

صوت كَبقْبقَةٍ

وأصابعُ تعوى؟

●

بعضُهم سيشُدّ من الكُمِّ بابلَ أو

يَقْتنى قفَصًا

بعضُهم سيُحاوِل لَمَّ الشوارعِ

والبعضُ سوف يُضَاهى حين تغفو الملاعِقُ

آنِيةً بالحصانِ

يناير من أجْلهم صار أَنْعَمَ

والريحُ كالريشِ

جاءوا لكى يرِثوا

لا كفافى رآهم

ولا حامِل الصقرِ

لا الفَلكِيُّ ولا نافخُ البوقِ

لكنّ شيْخًا رأى فى المرايا

واحتمى بالدفاترِ

جاءوا لكى يرِثوا

هل لديهِ سوى الرملِ والزَّنْزَلخَتْ؟





ورق أصفر

١٠

لم أبن هذه المدينة

لم أعطها وجهى

ولا فصيلة الدم التى تخُصّنى

ولم تهبنى إلا صورة الأسيرِ

من حقى

أن آخذ الطيور من سمائها إذاً

وأن أدور كالملاك حولها

مُسَلّحًا بِبلطتى

هل تُشبه الجميلةَ التى فى دفترى تَغْفو؟

ـ٢ـ

لن يقفَ الباصُ هنا

لكنِّى لن أنْتظرَ هناك

المُخْبِرُ كالمعتادِ سيبحثُ فى أوراقى

عن هَمَجِيٍّ

أو مَشْبوهٍ

لا تُشْبِهنا الصّوَرُ كثيراً فى أكتوبرَ أو نوفَمبرَ

لا تُشْبِهنا فى إبريلَ ومايو

ألهذا أحمل فى مَحْفَظتى مُدنًا

كى أتذكّر وجهى وبلادى أحيانًا ؟

أَطْوَل منى هذا الشارع

أطول منى الباشا والجُندىُّ

وفلاحون بلا أوْسِمَةٍ زرعوا الأرضَ.. وجاعوا

سأكون حكيمًا

وأُسَمِّى امرأتى هالةَ

والمتوسِّط مَزْرعةً للسّمكِ

الحفّارين ملوكًا

والإعصارَ حصانًا

سأكون حكيمًا

وأقيس الشارع قبل النوم وبعد النومِ

أُدَخِّنُ سراً

وأعِدّ قصائدَ عن أيّام الشّامْبو

والهورموناتِ

وقد أتَدَلّى من شُبّاكى

لأُسانِدَ جاراً لم يَغْلِبْهُ النومُ

ولا الكلماتُ المتقاطعةُ

وقد أتَسَلّى بحكايات البحرِ

وسَمّاكين زَعانِفُ نَبَتَتْ لأصابعهم.

.٣٠

بِبَراميل مملوءةٍ باليُود

وكَراتينَ مَحْشُوّةٍ بالقطن

أقف مُسْتَعِداً

حتى يعرفَ الذاهبون إلى الحربِ

أنّهم.. ذاهبون إلى الحرب

ويكُفّ المسالمون عن ارتداءِ

ملابس الجنود.

-٤-

أخْشى أن يخْتفِىَ البحرُ من النافذةِ

وأن يَنْفرِدَ الملاّحون بأسرار الجغرافيا

أخشى أن يكتشفوا الأرضَ

وأن يَقْتسموا الماءَ الماءُ يُحِبُّ الملاحينَ

وأخشى أن يَحْسَبنى العابرُ زِراًّ

أو يتركنى فى الصحراءِ فلا أخْضَرُّ

ولا أصْفَرُّ

ولا أتذكَّرُ طيّارات الورقِ

أو الشعراءَ الجَوّالينَ

وأخْشى أن تَتَّسِع خُرومُ شِباكى

فأعود بقصص المغلوبين فقط

وبقايا سفنٍ

طوبى للضعفاء نَموا وانْتَشَروا كالأعشابِ
وطوبى للأزْرارِ انْتَظَرَتْ
كى تَتَوالدَ فى الحيطانِ
وطوبى للصّابونِ تَهُبُّ جهاتُ منهُ
وللشاشات نِساءً تَرْمى
لا يَصْلحن سوى للحُبِّ
ولا يشبِهن اللُّوريّاتِ
وطوبى للغَجَرِيَّةِ
ظلت لهبًا فى الميدانِ
وسراً بين اثْنَيْنِ أنَا وأنا.

.٥.

الذين أصابعُهم كالطيورِ
وسيقانُهم أحْصِنَة

الذين مع الفجْرِ مثل ملائكةٍ

يَهْرِسون يدى

سوف أضربهم

واحِداً

واحِداً

ثُمّ أشرب أنْخابَهم

عادةً فى الظلامِ

وأحْبو

إلى لُعَبٍ فى الصباحاتِ

يَسْتأثِرون بها.

.٦٠

اللغةُ مخْبأٌ والوطن زِنْزانَه

لم أقُل شيئًا

وأنت لم تَسْمَع

إن سئلتَ قُل لا أعرف

ومن ناحيتى سأحفظ السِّر

هكذا سنُحَرِّر الأسرى

ونُجَمِّلُ الخِيانه.

-٧-

كل دواء سُمّ

وكلُّ قاتلٍ دواء

يقول جدِّىَ الذى بالنار أدَّبَ الألم

وعالج الذين فجأةً تَصَحَّروا

هل كان فى التِّسْعين عندما

تَساقطت من دمه الطيورُ؟

لم أكن هناك حين هبّ واقفًا

وعندما استَضافَ فى المقهى

مُطَرْبَشينَ

لم أكنْ هناك حين غافل الذين أَعْلنوهُ جَبَلاً

وسار فى الهواء.

-٨-

الرّنينُ لم يعُدْ هو

غشّنى صوتى

وغشّت الظلال

هل هو الجرادُ من مَغارةٍ يهبُّ؟

مرّةً كنتُ غلامًا

تُرْعَةُ القاصدِ مازالت وشَعْرُ البِنْتِ

والمدارس التى يزورها الفَراشُ

أذكر الطابورَ

والديوكَ فوق السُّورِ

واسْلمى يامصرُ

جدتى كانت هناك دائمًا تُردِّدُ النشيدَ

مرّةً شاكسْتُها

فعاقَبَت مُعَلِّمى

وعندما حفِظْتُ جُزْءَ عَمَّ

قُلت كِلمَتَيْنِ عن مُوَحِّدِ القُطْرينِ

كافأتْهُ بالفطيرِ

فجأةً شاخَتْ

وفجأة كبِرتُ

فجأةً تشَقّقَتْ مياهُ النيلِ

أعلنتْ ولاءها الأشجارُ للآبارِ

فجأةً صار الظلامُ عَلَمًا

أنا حزينٌ

ربُّما

لأنّنى.. ضَيَّعْتُ أسْنانى

وربُّما

لأنّ ما حولى

يَهُدّنى

الصيف صار لهبًا والبرد مِنْشارُ

وربُّما

لأنّ أطفالاً لهم ملامح الذئابِ

يهبطون من دمى.

.٩.

هل ستسير غيومٌ فى نوفمبر خَلْفى؟

أعنى مثل قطيع الماعزِ

أَبْغى أنْ أغْتَسِلَ

وأنْ تَغْتسِل بلادى

لم تَعُد الريحُ تَصُبّ بعيداً

لم يعد الرملُ يُوارى

وأنا فى الخمسين أظُنُّ

ولن أحْتمِل صعودَ السُّلّمِ

ساداً أنْفى.

.١٠.

اذكر نصْفَ نَشيد الوطن الأكبر

هل تتذكر شيئًا ؟

ـ١١ـ

لا أَحَدَ فى الغرفة

لا أحدَ فى البهْو

لا أحدَ فى الحَمّام

من هناك إذاً يامحمد

إنّه الغبارُ فقط

والفقاقيعُ شعْبٌ يَنْصُب الخِيام.

١٩٩٢ ـ ١٩٩٥



المحتويات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. maktabetelosra.. org

E - mail : info @egyptianbook.org

رقم الإيداع بدار الكتب ١١١٠٣ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9690 - 8